

التبيان في تفسير القرآن

(482) أن الروم مع كثرتهم لا يؤمنون جملة إلا أنه ليس يمتنع مع ذلك أن يؤمنوا، لأن
ا كلفهم الايمان، فلو لم يكن ذلك جائزا لما كلفهم. قوله تعالى: واصنع الفلك بأعيننا
ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (37) آية في هذه الآية اخبار من ا تعالى
عما أمر به - عزوجل - نوحا (عليه السلام) حين أياسه من ايمان قومه فيما بعد، وأنه
مهلكهم بالطوفان. بأن يتخذ الفلك ويصنعها، والصنع جعل الشئ موجودا بعد أن كان معدوما،
ومثله الفعل، وينفصلان من الحدث من حيث أن الصنعة تقتضي صانعا، والفعل يقتضي فاعلا من
حيث اللفظ، وليس كذلك الحدث، لأنه يفيد تجدد الوجود لاغير. والصناعة الحرفة التي يكتسب
بها، والفلك السفينة، ويكون ذلك واحدا وجمعا، كما قيل في أسد وأسد قالوا: في فلك وفلك،
لأن (فعلا وفعلا) جمعهما واحد، ويأتیان بمعنى واحد كثيرا يقال عجم وعجم، وعرب وعرب، ومثله
فلك وفلك. والفلك والفلكة يقال لكل شئ مستدير أو شئ فيه استدارة، وتفلك ثدي المرأة إذا
استدار، ومنه الفلك. وقوله " باعيننا " معناه بحيث نراها وكأنها ترى بأعين على طريق
المبالغة، والمعنى بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك. وقال الجبائي بأعين
أوليائنا من الملائكة الذين يعلمونك كيفية عملها، والموكلين بك. وقيل: معناه بعلمنا.
وقوله " ووحينا " أي على ما أوحينا اليك من صفاتها وحالها. قال ابن عباس: أمره ا تعالى
أن يبنّيها على هيئة جؤجؤ الطائر. ويجوز أن يكون المراد بوحينا اليك أن اصنعها. وقوله "
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون " نهى لنوح (عليه السلام) أن يراجع ا تعالى
ويخاطبه ويسأله في أمرهم